الدراسة الأكاديمية بين الواقع والطموح الشرق الأوسط نموذجاً

الباحث

سعد عبد علي هاني الغُرَّي*

أكاديمية الحكمة العقلية - قم - ايران

هناك ثغرات في المناهج الأكاديمية ناشئة من تركيزها على المنهج الحسي التجريبي الذي يؤثر في طريقة تفكير الدارس، فيرى العالم من خلال نافذة التجريبيات او الحسيات، وينفي وجود كل من لا يراه من خلال هذه النافذة، وبالتالي تؤثر على أصوله واعتقاداته وسلوكه العملي، والطريق الأمثل لحل هذه السلبيات عبر دراسة مبسطة للعلوم العقلية، فوائد دراستها كثيرة منها وضع ميزان عام وواقعي لتقييم العلوم، نشر التفكير لا فكر معين، الاهتمام بالجانب المعنوي للإنسان بالإضافة إلى الجوانب المادية.

تمهيد:

قبل الدخول في أصل البحث نبين بعض المقدمات المفيدة في المقام:

أولاً: بيان أهمية العلم والتعلم

إن التعليم والتعلم من الأمور التي لا يختلف عاقل على ما تحضى به من أهمية بالغة على جميع الاصعدة، وما وصلت إليه الساحات العلمية من التطورات المادية والعلمية ما هي إلا حسنة من هذه الحسنات، وليس هذا التأكيد على الأهمية محصورة في العلوم التجربية المدرسية بل حتى الديانات صرحت بذلك وأكدت عليه، لما فيها من تكامل المتعلم، ومن ثم تكامل المجتمع ، وبالتالي تحصل له رؤية كونية حقيقية واقعية تؤثر على حياته إيجابياً وتخرجه عن طور الهامشية والفوضوية، وتشكل علة لانسياقه وراء الأهداف العامة المفيدة ويكوّن بذلك شخصية متكاملة بعيدة عن الانزلاق الفكري والتبعية والتقليد الأعمىفي كل شيء ، فتشكل له رؤية كونية مهمة تؤسس له آيدلوجية وبالتالي السلوك العملي المهم والبنّاء والفعّال.

والمراد من التعليم قد اختلف عما في السابق فاصبح المراد منه الآن هو التجميع المعلومات على نحو الكمية لا الكيفية، وكيف يتلائم هذا مع العصف المعلوماتي الهائل الذي نراه، ففي كل يوم نجد النظريات الجديدة في المواضيع المختلفة، وبعضها يرفع اليد عن سابقها والآخر يكامل السابقة!

أم كيف نستطيع ان نواجه هذا كله بواسطة الحفاظ على الكم والكيف!

كما وإن العلوم قد تشعبت فالتي كانت واحدة في زمن ما أصبحت ذات أقسام كثيرة جدا واصبح للقسم جزء وهكذا، فكيف يستطيع الإنسان أن يلم بكل هذه الأمور وأقسامها وجزئيات أقسامها!

نعم، الإلمام بهذه العلوم كلها أمر جميل وجميل جدا وقد حصل هذا الأمر سابقاً[١]،>كانت كل العلوم تدرس تحت عنوان واحد وهو الفلسفة وكان الفيلسوف كشكولاً كاملاً في كل فرع من المعرفة<[٢]ولكن هل ما هو موجود اليوم كالسابق!

فينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار اللحاظ الكيفي أولاً وبالذات على نحو تعليم الانسان التفكير، فنعلم الطلاب التفكير لا فكر معين، قال جان جاك روسو: >إننا لا نريد أن نخلق إنساناً معتلماً، ولكننا نريد أن نخلق إنساناً قابلاً لأن يتعلم<[٣]. وقال سنيكا الروماني: >لسنا أمام قربة نملؤها ، وإنما أمام موقد علينا أن نلهبه<[٤].

فإذا كان الطالب التعليمي اليوم هو محور العملية التعليمية كلها، فإن التحدّي الذي يواجه هذه العملية ، هو كيفية إطلاق الطاقات الخلاقة والإبداعية لدى كل طالب بحسب قدراته وميوله واهتماماته، وفي كيفية قيام الطالب بدور أكثر إيجابية في عملية التعليم الذاتي، وحل المشكلات والوصول إلى الحلول والحقائق بنفسه[٥].

ثانياً: تكامل الإنسان فرع معرفته

يتوصل العلم يوماً بعد يوم إلى عظمة الإنسان وإلى ما يحويه من أسرار وخفايا تكشف شيئا فشيئا فهو مظهر لإبداعات الخالق العظيم، لذا ذكر في الخبر إن معرفة الإنسان طريق لمعرفة الربّ[٦]، ومن الواضح أن الذي يريد أن يكامل شيئاً ما فلا بد أن يكون محيطاً به وبما يحويه لكي تصل النوبة إلى تكامله، فالتهكم في تقديم أمور ظناً بأنها موجبة لتكامل الإنسان

تؤدي إلى انحطاطه وتسافله، فالقانون الناجح هو القانون المثالي والذي ناتج من معرفة واقعية للمقنن له لا على نحو الفرضية المحضة، والمسألة هنا أيضا كذلك، فإن الذي يريد تكامل الإنسان لا بد من الاطلاع على هذا الكائن وما يحويه من قوى وآلات فيسعى إلى إكماله عبر تلبية رغباتها لجميع قواه.

وقد ثبت في محله[٧] أن الإنسان مؤلف من عدة قوى تابعة للنفس الإنسانية وهي المشرفة عليها وبها تقوم وهي القوى الغضبية والشهوية والعقلية ـ التي تعتبر من أهم القوى والتي هي المائز بين الإنسان وغيره من العجماوات ـ فالباحث عن التكامل الإنساني ووصوله إلى مرحلة الإنسانية، لابد أن يلبي الحاجات التي تخصه بما هو إنسان، بالإضافة إلى ما يشترك به مع الحيوان والنبات، واعطائه جميع الكمالات التي يحتاجها.

ثالثاً :نظرة سريعة الى المناهج الموجودة حاليا في الدراسة الأكاديمية

إذا نظرنا نظرة سريعة إلى المناهج الأكاديمية الموجودة حالياً في الشرق الأوسط عموماً، والمعترف بها من قبل جهات التعليم العالمية نجدها ـ وإن كانت تلبي جانباً من متطلبات الحياة والتكامل المعرفي بالجانب المادي ـ لا تلبي جميع متطلباته وكمالاته إلا أنها غفلت عن الأمور المجردة[٨]، فصار معيار المناهج تلبية متطلبات الإنسان المادية فقطوقد وصلت إلى أوج الكمال فيه وهذا لا يختلف عليه اثنان، أما ما وراء ذلك كالقوى العقلية وترتيب التفكير وخلق إنسان مفكر بنفسه ليخرج عن مرتبة الحيوان فإنها غافلة عنها بصورة كلية.

وهذه الملاحظة على المناهج بصورة عامة فلا يمنع من وجود مناهج دراسية تكفلت بجانب آخر ولكن على نحو المعتقدات المتبنية ووفق الطريقة التي يخضع لها المنهج، فتكون خاصة وكلامنا عن المنهج بصورة عامة لا عن النوادر والتي تابعة لجهات لها أغراضها وأهدافها الخاصة وليس بمقدور كل أحد أن يتسجل فيها إلا ما قل وندر.

فالمتعلم أصبح لا يرى إلا من نافذة التجريبيات والحسيات، أما بقية النوافذ والتي أحكمت أغلاقها من قبل الآخرين بصورة متعمدة أو غير متعمدة لا يستطيع الولوج إليها ولا يعرف أي شيء عنها، فلا يشعر بلذائذها فأصبح مثله مثل الأصم الذي لا يستطيع تخيل

جمال الصوت والألحان، ومثل المكفوف الذي لا يحس بجمالية الألوان الزاهية، لكونه لم يجربها فلا يحس بلذتها.

فالاتكاء فقط على جانب واحد ـ وإن كان قد وصل فيه الى أوج التقدم ـ وأهمال بقية الجوانب بحجة أو بأخرى توقع خلل في النظرة المعرفية الكلية للطالب وبالتالي خلل في المنظومة الفكرية والتي تعتبر أساساً للرؤية الكونية والآيدلوجية ومن ثم السلوك العملي.

الجوانب الإيجابية للمناهج:

نحن حينما نضع منهج ما تحت المجهر وننقده بموضوعية ليس معنى ذلك أنه خال عن الإيجابيات، فقطعا هناك عدة إيجابيات في المناهج الدراسية، منها:

١ـ ترتيبها الطبيعي، حيث تبدأ مع الأطفال شيئاً فشيئاً من الأمور المادية الحسية البسيطة إلى التجريبية والرياضية والفيزيائية والكيميائية الأكثر تعقيداً، على مستوى علمي ثم ينتقل من ذلك المستوى إلى مستوى المعقد، فمراعاة الجانب الدرسي من الأمور المهمة والتي لوحظت في الدراسة الأكاديمية.

٢ـ الابتداء، فنجد أن أكثر المناهج تبدأ في سن السادسة، وهو العمر ـ كما يقول اهل الخبرة ـ الملائم لتلقين الطفل هذه العلوم شيئاً فشيئاً وكما قيل التعلم في الصغر كالنقش على الحجر فتبقى هذه المعلومات منقوشة في ذهن المتعلم وقد تبقى إلى عقود عمره محفوظة ومنقوشة وغير قابلة للإزالة.

٣ـ التنوع، في المواد فنجد المناهج تتنوع فنجد اللغة والدين والحساب والتاريخ والاجتماع والفيزياء والكيمياء و... إلى أن يحصل له تخصص في نوع واحد وفي قسم واحد وفي شيء واحد كما في التخصصات العالية، وكذا التنوع في طرق الإلقاء مما يجعل الطالب في شوق للحصول على المعلومات باستخدام الوسائل الحديثية، والصور المنوعة الموجودة في الكتاب.

٤ـ الالزام، وهذه مسألة مهمة جداً حيث لو خلي الانسان ونفسه قد لا يستطيع ـ لظروف خاصة أو وجود مشكلات ـ من تحصيل العلوم؛ لذا وضعت هذه العلوم لكل الافراد على نحو الإلزام.

إلى غير ذلك من الإيجابيات المهمة.

الجوانب السلبية للمناهج:

لم نكن نحن فقط المستاؤون عن وضع التعليم من الناحية المعرفية في وقتنا، بل لقد استاء حكماء الغرب منها من قبل، فها هو كانت(Kant) (١٧٢٤-١٨٠٤) مستاء مما وصلت إليه المناهج الأكاديمية: >لم تكن المؤسسات التربوية معدومة، غير أنّ غالبيتها رديئة إذ يتم العمل فيها ضد الطبيعة، ... ويُتّبع فيها تقليد القرون الفظة الجاهلة اتباعاً أعمى ـ ولكن عبثاً ننتظر خلاص الجنس البشري من تحسين تدرجي للمدارس ، فلا بد من إعادة إنشاء المدارس إنشاءً كلياً إن أردنا أن يساورنا الأمل في حصول شيء صالح ينبثق عنها . ذلك أنها بالفعل مختّلة في تنظيمها الأولي وأن المعلمين أنفسهم في حاجة إلى تلقي تكوين جديد ولا يقدر على إحداث هذا التغيير إصلاح بطيء، بل ثورة سريعة فحسب، لذلك تكفي مدرسة واحدة منظمة على نحو جديد ووفق منهج حق<[٩].

ومن أجل هذا وغيره أنشيء معهد داسوDESSAU الذي كان للمعلمين فيه حرية العمل بحسب مناهجهم الخاصة ومخططاتهم الخاصة[١٠]، فحاولوا أن يوجدوا معاهد بحسب ما أمكنهم للوصول إلى شيئ أفضل منه مستقبلا وهكذا، >يجب أن لا يربى الأطفال فقط بحسب حالة النوع البشري الراهنة، بل بحسب الحالة الممكنة التي تكون أفضل منها في المستقبل، أي وفق الفكرة الإنسانية وغايتها الكاملة<[١١].

فإذن هناك سلبيات مهمة وخطيرة في المناهج الحالية، أهمها:

أولاً: تأثيرها على الجانب المعرفي

إن الاقتصار على التعليم التجربي الحسي، يؤثر أولا وبالذات على النظرة المعرفية للطالب وتعطي للتجربة والحس الدور الكامل في التعرف على الواقع، وتلغي بقية المناهج المعرفية المهمة[١٢]، ويكون سلوك الفرد منحصراً في هذا الاتجاه.

فالمتخرج من الدراسة الأكاديمية يكون استقرائياً تجريبياً، وهذا يؤثر على تفكيره ونتاجه العلمي.وبعيد كل البعد عن الماوراءيات والمجردات والاعتقادات وطريقة تقييمه وحكمه على الأمور بميزان عام شامل.

ثانياً: تأثيرها على الرؤية الكونية والآيدلوجية والسلوك

إن انحصار المنهج المعرفيبالحس، سوف يؤثر بالتالي على الرؤية الكونية المبتنية عليها، والتي تؤثر بدورها على الآيدلوجية المبتنية على الرؤى الكونية ، والتي تؤثر بدورها على السلوك الإنساني المبتني على الآيدلوجية، فأي أهمال في الجانب المعرفي يؤثر سلباً على الرؤى الكونية وأي تأثير سلبي على الرؤى الكونية يؤثر سلباً على الآيدلوجية والتأثير السلبي على الآيدلوجية يؤثر على سلوك الإنسان، فالمنهج المعرفي يؤثر على سلوك الإنسان >السلوك الإنساني الاختياري ينطلق من مبادئ علمية؛ لأن العلم هو المبدأ الأول للفعل الاختياري، فمعرفة حسن الفعل وقبحه هو المحرك لإرادة الفعل وتحققه خارجاً، وهذه المبادئ العلمية هي التي تسمى بـ(الأيديولوجيات)، أو القضايا التي يعبر عنها بـ(ما ينبغي أن يكون).

وتبتني هذه القضايا العلمية على مجموعة أخرى من القضايا وهي التي يعبر عنها بالقضايا النظرية الكلية التي تشكل ما يسمى بـ(الرؤية الكونية) أو ما هو كائن.

وفي الاصطلاح الشرعي يعبر عن الرؤية الكونية بـ(أصول الدين) وعن الأيديولوجيات بـ(فروع الدين)، والمهم في ثنايا هذا الموضوع هو الإطلاع عن الكيفية التي تتشكل بها الرؤية الكونية عند الإنسان.

وتبتني الرؤية الكونية بصورة رئيسية على المنهج المعرفي المستعمل في الكشف عن الواقع ومعرفة الخطأ من الصواب، فالمنهج الذي يختاره الإنسان له عظيم الأثر في اختيار الرؤية الكونية التي تسانخه، والتي من خلالها تنطلق الأيديولوجيات العملية المؤثرة في تكوين السلوك الاختياري القائم على هذه الرؤية سلباً أو إيجاباً.

فالإنسان الليبرالي مثلاً ـ الذي لا يبالي بأي قيمة دينية على مستوى الاعتقاد والعمل ـ إنما يفعل ما يفعله انطلاقاً من مجموع قضايا تكونت لديه بعيداً عن الدين وعن الارتباط بعالم غيبي ينتمي إليه، بدءاً وعوداً، فهو في تصرفاته يجعل جانب المألوفية الاجتماعية هو الأساس الذي يسيّر تصوراته عن الكون والحياة، وهذه الأيديولوجية الليبرالية قائمة على

الرؤية الكونية المعتمدة على جانب إنكار الاتصال بعالم الغيب أو ما وراء المادة، فغاية الاعتقاد لديه هو الانتماء للمادة والعود إليها فناءً.

وهو إذ يسير في هذا الاتجاه الخاطئ إنما يكون ضحية لمنهج معرفي فاسد قائم على التجربة والمشاهدة في استكناه الحقائق ومعرفة طبيعة العلاقات التي تربط مفردات الوجود من حيث معلولاتها الفاعلة.

أما الإنسان المتديّن فالأمر مختلف لديه كثيراً، فهو حين يتحرك في أيديولوجيته إنما يتحرك من الأيديولوجية التي تشكل العنصر المكون لها والقائم بها، حيث اكتسب رؤيته من الله ورسوله، فكانت هذه الأيديولوجية منبثقة عن الرؤية الكونية الدينية المعتمدة على المنهج المعرفي العقلي في الكشف عن الواقع واستجلاء الأسرار الترابطية له بما يحيط بالإنسان من أسراره الخفية والعجيبة<(١٣).

ما ينبغي أن تكون عليه المناهج في الدراسة الأكاديمية:

لو تطلعنا التاريخ ونظرنا في كتب الحكماء لوجدناهم قد اعتمدوا الطريق السليم الذي يعطي جميع المعارف حقها الطبيعي،وقال الحكماء منذ قديم الزمان إن كمال الإنسان بكمال قوتيه النظرية (معرفة ما هو كائن) والعملية (ما ينبغي أن يكون)، والقوة العملية تابعة لقوته النظرية، والقوة النظرية تعتمد على اكتساب المجهول التصوري والتصديقي والذي يعينه على ذلك هو علم المنطق، قال الشيخ الرئيس:>استكمال الإنسان من جهة ما هو إنسان ذو عقل هو في أن يعلم الحق لأجل نفسه، والخير لأجل العمل به واقتباسه، وكانت الفطرة الأولى والبديهية من الإنسان وحدهما قليلي المعونة على ذلك وكان جل ما يحصل له من ذلك إنما يحصل بالاكتساب، وكان هذا الاكتساب هو اكتساب المجهول، وكان مكسب المجهول هو المعلوم<(١٤)، فينبغي له تعلم علم المنطق أولاًفيبتدأ بالأداة التي تستعمل في كل العلوم (المنطق)، قال نصري: >إن الخطأ الشائع في مقاربة الفكر العلمي هو حصول هذه المقاربة عن طريق (التكنولوجيا) لا عن طريق مناهج البحث المنطقية، والسب هو الانبهار بالتقنية التي هي من الآثار الجانبية الواضحة للعلم، والتي يمكننا أن نراها عياناً دون أن نلحظ مفاعيلها الجانبية أيضا حتى على مستقبل أجيالنا على هذه الأرض. أدخلوا

البيوت من أبوابها، وباب العلم هو المنهج المنطق...<[١٥]. قال سعد الدين: >تعتمد الأبحاث النظرية بصفة خاصة وسائر الأبحاث بصفة عامة على المنهج العقلي المنطقي الاستنباطي.

فالمنطق هو الذي يضع ويحدد القوانين العامة للفكر، والتي ينبغي أن يعمل كل مفكر بمقتضاها، كما أنه يربي في الباحث ملكة النقد، وتقدير الأفكار ووزن البراهين، والحكم عليها بالصحة أو الخطأ.

والمنطق هو القانون العام لمن أراد أن يكون بحثه سليماً لاتناقض فيه ولا تضارب[١٦].

فالمنطق هوالذي يعتبر كأداة لترتيب التفكير الصحيح والذي يهيء الذهن لعدم اعطاء أي حكم مسبق من غير قاعدة أو ميزان، فإذا اتقن هذا العلم أصبح بإمكانه مواجهة كل الانحرافات دون أن يتغير تفكيره لأنه قد قنن تفكيره ضمن قواعد فطرية سليمة غير قابلة للنقض ولا الشك.

>فمن المهم فعلاً وقبل كل شيء أن يتعلم الاطفال التفكير. وهذا الأمر يخص المبادئ التي تترتب عليها كل الأفعال<[١٧].

ثم بعد دراسة وإحكام علم المنطق نستطيع الدخول الآن الى دراسة بقية العلوم وتبتدأ بعلم المعرفة، والمقصود منها نظرية المعرفة أي كيف يصل الإنسان الى المعرفة الواقعية فيدرس الطالب علم المناهج المعرفية ويحدد الواقعية منها وغير الواقعية، ومن ثم يبرهن حجية من لها حجية منها، وبعد ذلك يضع حدود حجيتها، ليتوصل بذلك إلى أن الواقع يستطيع الوصول إليه بهذه الآلة في هذه الحدود فيضع لكل آلة مكانها المناسب، فلا يقحم التجربة بالمجردات[١٨]، لأنه يعلم أن التجربة محدودة ومأطرة بإطار المحسوس، والمجردات غير محسوسة، وكذلك لا يقحم العقل ببيان علة الأحكام الشرعية لأنه يعلم أن حدود الشرع خارجة عن حريم العقل، وهكذا.

ثم تدرس الرياضيات لكي يستأنس الطالب بالأمور المجردة شيئا فشيئا والطبيعيات والتي تكون أكثر تجردا من الرياضيات لتكون مقدمة لتهيئة ذهن الطالب لدراسة العلوم المجردة عن المادة ثم بعد ذلك الفلسفة والتي هي علم العقائد، وبه تكتمل الحكمة النظرية،

فيكون الذهن مهيء لدراسة العلوم المختلفة بحيث يمتاز بالموضوعية والعدالة في تقييم المناهج وعدم تعدي أي منهج على الآخر فكل في مكانه الطبيعي.

وهذه المنهجية ـ كما أشرنا سابقاً ـ سار على وفقها الحكماء فكانوا يهتمون بهذه العلوم قبل دراسة العلوم الانسانية .

وفي الغرب ـ مثلاً ـ قد اهتموا بهذه المسئلة من الأساس قبل أن يصل الطفل إلى مرحلة البلوغفأوجدوا برامج للتربية تساهم في تنشئته تنشئة جيدة منذ نعومة أضفاره، فهم يركزون على التربية الجسمية (وذلك عن طريق تقوية الحواس واعتماده على النفس) والتربية العقلية (تقوية القوى الفاهمة معرفة الكلي، والحاكمة تطبيق الكلي على الجزئي، والمتذكرة) والثقافة العامة والتي يندرج تحتها الثقافة المادية والعقلية، وبهذا يصبح قادرا على الدخول في الحياة الواقعية وله وجهة نظر يريد أن يحققها[١٩].

الأسباب وراء النزوح عن هذه المنهجية:

هناك عدة عوامل أدت بالانحراف عن طريق الحكماء منها:

العامل السياسي: ظهرت بعض التيارات الفكرية التي لم تعط أي قيمة للمعرفة، لدواع سياسية، فالذي لا يعتقد بوجود عالم آخر وفق رؤيته الكونية لا يشكل خطراً على المتصدين للقيادة وعلى كرسي الساسة، فتحجيم التفكير يؤدي إلى تحديد العقول فلا يسعون إلى ما وراء ذلك.

التيارات الدينية المنحرفة:والعامل الثاني التيارات الدينية المنحرفة التي ترفع الدين شعاراً لها، فالدين المأخوذ من أفواه المستفيدين والذين يحاربون وبضرواة في سبيل إبقائه على السطحية الخطيرة للمخاطب، وبالتالي يسلم بما يقولونه له، وإلا فهو خارج عن الدين وكافر، فمخافة من الوقوع في الكفر يدخل في ضمن هذا الحزب، ومن ثم لا يتسائل عن سبب الظلم والجور فيبقى عقله في غرفته المظلمة ومطروح على الرف، ومن ثم تظهر التيارات الزائغة والمنحرفة الباطلة عن هذا

الطريق بصورة سريعة وتكون ملاذاً للسذّج فتنتشر فيهم كالنار في الهشيم. ، واستعانوا على هذا بنشرهم الشعارات المضادة للعقل (من تمنطق فقد تزندق)[٢٠] واستدلوا على بطلان المنطق ـ بالمنطق ـ ،وألفوا الكتب المحرمة لدراسة مثل هذه العلوم، حتى أن الغزالي ألف كتاباً اسماه (إلجام العوام عن الاشتغال بعلم الكلام) ليتمكنوا من إبقاء الناس بعيدين كل البعد عن التفكير الصحيح والذي تنهار معه كل الأسس المنحرفة التي بناها المستفيدون من الدين لمنافع شخصية أو لأهداف سياسية.

الأسباب الاقتصادية: العامل الثالث وراء التغيير هو الأسباب الاقتصادية والتي تعتبر من العوامل المهمة في عدم انتشار هذا المنهج، فالذي يريد تطوير وضعه الاقتصادي يجب أن يواكب أكثر الموجودين والأكثر لا يسعون إلى الحصول على التربية الفكرية، بل غاياتهم العظمى تتمثل في بطنهم وفروجهم ووهمهم، وهذا ما تتكفل به جميع التيارات المهيمنة على الأسواق في العالم، لاستغلالها لأكثر الناس عن هذا الطريق.

وغيرها من الأسباب التي تحتاج إلى رسائل أو كتب للبحث عنها وتنقيحها.

ماوراء المنهجية الجديدة:

اما المنهجية التي ينهجها العقلاء وكانت سيرة الحكماء والتي تراعي الترتيب الطبيعي وتلبي حاجات الانسان وجميع الحيثيات الموجودة في النفس الإنسانية فإنها ترقى بالإنسان إلى مراحل الكمال، فهي التي بيناها آنفاً.

ولا ندعي أن الكل يحتاج إلى دراسة مفصلة في الفلسفة والعلوم العقلية، بل يحتاج التعرف على العلوم العقلية بنحو بسيط، لكي يكون عنده ميزان واقعي لتقييم العلوم وبالتالي تكون عنده رؤية كونية مستفادة من طريقة جري العقلاء.

إن مشروع نظرية في التربية لهو مثل أعلى سام لا يملك أن يكون ضاراً ولو أننا غير قادرين على تحقيقه، وينبغي أن لا تعتبر (الفكرة المطلقة) ضرباً من الخيال فنستبعدها وكأنها حلم جميل، حتّى وإن كانت بعض العوائق تعترض حقيقتها<(٢١).

الخلاصة.

إن هناك ثغرات في المناهج الأكاديمية وهذه السلبيات تؤثر على الشخصية الدارسة لهذه المناهج فيرى العالم من خلال نافذة التجريبيات او الحسيات، وينفي وجود كل من لا يراه من خلال هذه النافذة. وبالتالي يكون سلوكه العملي مادي بحت.

- الطريق الأمثل لحل هذه السلبيات عبر دراسة مبسطة للعلوم العقلية.
- فوائد دراستها كثيرة منها وضع ميزان عام وواقعي لتقييم العلوم.
- نشر التفكير لا فكر معين.
- الاهتمام بالجانب المعنوي للإنسان بالإضافة إلى الجوانب المادية.

التوصيات:

١- اعتماد المنطق كمادة أساسية في الدراسة الجامعية على أقل التقادير باعتبارها مدخل لباقي العلوم، ومن ثم تنزيلها شيئا فشيئا إلى الدراسة الاعدادية فالمتوسطة فالابتدائية لكي ننشيء جيلاً قادراً على التفكير الصحيح.

٢- اعتماد نظرية المعرفة كمادة أساسية أخرى في الدراسة الأكاديمية ليتعرف الطالب من خلالها على بقية النوافذ المعرفية والتي يمكنه بواسطتها معرفة الواقع.

٣- الاهتمام بانشاء ذهنية مفكرة لا ذهنية حافظة عبر تفهيم الطلاب ان الأهمية في كيفية التفكير لا في نفس المعلومة.

٤- التركيز على جعل الغايات الفكرية والعلمية في الدراسة هي الأساس وجعل الاهتمام بالأمور المادية مسألة ثانوية لكي ننشيء مفكرين قادرين على تغيير الواقع نحو الأفضل.

هوامش البحث

- سعد عبد علي هاني الغُرّي : بكلوريوس هندسة نفط (جامعة بغداد ١٩٩٥) ، طالب بحث خارج في حوزة قم المقدسة ، استاذ في العلوم العقلية في حوزة قم ، بكلوريوس فقه ومعارف إسلامية جامعة المصطفى ٢٠٠٣م ، ماجستير فقه ومعارف إسلامية جامعة المصطفى ٢٠١١م ، طالب دكتوراه الفلسفة الإسلامية مدرسة الإمام الخميني ، عضو الهيئة التأسيسية والعلمية لأكاديمية الحكمة العقلية ، عضو هيئة تحرير مجلة المعرفة العقلية

١ـ فأكثر الحكماء والفلاسفة السابقين المسلمين وغيرهم كان يحوون جميع العلوم في تلك الأزمنة لاختصارها وانحصارها، فانظر سيرة كل من : الكندي، الفارابي، ابن سينا ، ابن رشد، الشيخ الطوسي وغيرهم. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء،ابن أبي أصيبعه ، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت / وكذلك أنظر: تاريخ فلاسفة الإسلام،محمد لطفي جمعة، نشر وتوزيع وطباعة عالم الكتب، طبعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م/ وكذلك انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، طبعة ثالثة مفهرسة٢٠٠٦، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٢ـالبحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية)، سعد الدين سيد صالح. نشر وتوزيع: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، مكتبة الصحابة ، جدة الشرقية، مقدمة الكتاب.

٣ـ انظر: المصدر السابق.

٤ـ انظر: المصدر السابق.

٥ـ انظر: المصدر السابق نقلا عن اصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر ، ص١٢٣.

٦ـ إشارة إلى ما روي عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: (من عرف نفسه فقد عرف ربه). عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ج٤ ص١٠٢.

٧- انظر: النفس من كتاب الشفاء، ابن سينا الشيخ الرئيس. تحقيق: حسن زاده الاملي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، إيران ، الفصل الخامس من المقالة الأولى، وهناك شرح للقوى التي يحويها الانسان، وتكامل الإنسان عبر تكامل هذه القوى فراجع.

٨-إلا الأمور التي تكاملها له علاقة بالشهوة والمادة كحب الشهرة.

٩- آمانوئيلكانت ، مقدمة، ألاكسيس فيلوننكو (ALEXIS PHILONENKO)، ص١٧-١٨ ، وهذا الكتاب هو مجموعة من المذكرات التي سلمها كانت الى في آخر حياته المهنية الى أحد اتباعه (رينك) موصياً إياه باختيار ما يكون منها أكثر فائدة للجمهور وتعود هذه المذكرات إلى دروس في البيداغوجيا ألقاها (كانت) في جامعة (كونغزبارق) أثناء فترات متقطعة من سنة ١٧٧٦ إلى ١٧٨٧، ونشرها (رينك) سنة ١٨٠٣ تحت عنوان البيداغوجيا.

١٠- انظر: تأملات في التربية، أمانويل كانط، تعريب وتعليق: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، تونس، ص٢٥.

١١- تأملات في التربية ، ص١٩، مصدر سابق.

١٢- حيث يذكر العلماء أن هناك أدوات تستخدم لمعرفة الواقع والتي تسمى بنظرية المعرفة وذكرت خمس (الحس، التجربة، العقل، الإشراق (الكشف)، الوحي) انظر: أصول المعرفة والمنهج العقلي، أيمن المصري، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان، المقصد الثاني ص٥٠-٧٣. وانظر كذلك: نظرية المعرفة، جعفر سبحاني، بقلم حسن محمد مكي العاملي. الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى مطبعة قدس، تاريخ الطبع ١٤١١هـ ، الفصل الرابع من الكتاب في أدوات المعرفة.

١٣- أصول المعرفة والمنهج العقلي، أيمن المصري، المقصد الثاني ص٢٢-٢٣، مصدر سابق.

١٤- منطق الشفاء ، ابن سينا ، تصدير الدكتور طه حسين باشا، مراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، تحقيق الأساتذة: الأب قنواتي، محمود الخضيري، فؤاد الإهواني، نشر وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، المطبعة الأميرية ، سنة الطبع: ١٩٥٢م، القاهرة، مصر، ص١٦-١٧، وكذلك انظر: الاشارات والتنبيهات، ابي علي حسين بن عبد الله بن سينا، نشر البلاغة، الطبعة الأولى، قم، إيران.

١٥- منهج البحث العلمي، د.هاني يحيى نصري. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان، ص٩.

١٦- البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية)، سعد الدين سيد صالح، ص٤٠، مصدر سابق.

١٧- تأملات في التربية ، ص٢٣، مصدر سابق.

١٨- المجردات: مصطلح فلسفي يراد به الموجودات المجردة والتي هي خارج اطار المادة والماديات، مثل الله تعالى والعقول.

١٩- انظر: تأملات في التربية ، أمانويل كانط، ص٢٥، مصدر سابق.

٢٠- ينسب هذا القول للسيوطي باعتباره كان محاربا للفلسفة وتبناه أكثر المتشددين من السلفية.

٢١- تأملات في التربية ، ص١٥، مصدر سابق.

قائمة المصادر و المراجع

١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعه، شرح وتحقيق: نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

٢. تاريخ فلاسفة الإسلام، محمد لطفي جمعة، نشر وتوزيع وطباعة عالم الكتب، طبعة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٣. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، طبعة ثالثة مفهرسة٢٠٠٦، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

٤. البحث العلمي ومناهجه النظرية (رؤية إسلامية)، سعد الدين سيد صالح،نشر وتوزيع: مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م، مكتبة الصحابة ، جدة الشرقية.

٥. اصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر.

٦. عوالي اللئالي، ابن أبي جمهور الأحسائي.

٧. النفس من كتاب الشفاء، ابن سينا الشيخ الرئيس، تحقيق: حسن زاده الاملي، الناشر: مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، جمهورية إيران الإسلامية.

٨. مقدمة ألاكسيس فيلوننكو (ALEXIS PHILONENKO)،آمانوئيلكانت.

٩. أصول المعرفة والمنهج العقلي، أيمن المصري، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ٢٠١٠م، الدار البيضاء المغرب، بيروت لبنان.

١٠. نظرية المعرفة، جعفر سبحاني، بقلم حسن محمد مكي العاملي، الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى مطبعة قدس، تاريخ الطبع ١٤١١هـ .

١١. منطق الشفاء ، ابن سينا الشيخ الرئيس، تصدير الدكتور طه حسين باشا، مراجعة الدكتور إبراهيم مدكور، تحقيق الأساتذة: الأب قنواتي، محمود الخضيري، فؤاد الإهواني، نشر وزارة المعارف العمومية، الإدارة العامة للثقافة، بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس، المطبعة الأميرية ، سنة الطبع: ١٩٥٢م، القاهرة، مصر.

١٢. الاشارات والتنبيهات، ابن سينا الشيخ الرئيس، نشر البلاغة، الطبعة الأولى، قم، إيران.
١٣. منهج البحث العلمي، د.هاني يحيى نصري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.
١٤. تأملات في التربية، أمانويل كانط، تعريب وتعليق: محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، تونس.
١٥. المناهج التربوية الحديثة (مفاهيمها وعناصرها واسسها وعملياتها)، الاستاذ الدكتور توفيق احمد مرعي، الاستاذ الدكتور محمد محمود الحيلة.